إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت من شدة الرعب الذي في قلوبهم
يشبهون المغمى عليه وقت النزع فإنه يخاف ويذهل عقله ويشخص بصره ولا
يطرف فكذلك هؤلاء لأنهم يخافون القتل فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة
حداد ويقال في اللغة صلقوكم وهو رفع الصوت بالكلام المؤذي ومنه الصالقة
وهي التي ترفع صوتها بالمصيبة يقال سلقه وصلقه وقد قرأ طائفة من السلف
بها لكنها خارجة عن المصحف إذا خاطبه خطابا شديدا قويا ويقال خطيب مسلاق
إذا كان بليغا في خطبته لكن الشدة هنا في الشر لا في الخير كما قال بألسنة حداد
أشحة على الخير وهذا السلق بالألسنة الحادة يكون بوجوه تارة يقول
المنافقون هذا الذي جرى علينا بشؤمكم فإنكم أنتم الذين دعوتم الناس إلى هذا الدين
وقاتلتم عليه وخالفتموهم فإن هذه مقالة المنافقين للمؤمنين من الصحابة وتارة
يقولون أنتم الذين أشرتم علينا بالمقام هنا والثبات بهذا الثغر إلى هذا الوقت وإلا
فلو كنا سافرنا قبل هذا لما أصابنا هذا وتارة يقولون أنتم مع قلتكم وضعفكم تريدون
أن تكسروا العدو وقد غركم دينكم كما قال تعالى إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض
غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم وتارة يقولون أنتم مجانين
لا عقل لكم تريدون أن تهلكوا أنفسكم والناس معكم وتارة يقولون أنواعا من الكلام
المؤذي الشديد وهم مع ذلك أشحة على الخير أي حراصا على الغنيمة والمال الذي قد
حصل لكم قال قتادة إن كان وقت قسمة الغنيمة بسطوا ألسنتهم فيكم يقولون أعطونا
فلستم بأحق بها منا فأما عند البأس فأجبن قوم وأخذلهم للحق وأما عند الغنيمة
فأشح قوم وقيل أشحة على الخير أي بخلاء به لا ينفعون لا بأنفسهم ولا بأموالهم و
أصل الشح شدة الحرص الذي يتولد عنه البخل والظلم من منع الحق وأخذ الباطل
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم إياكم والشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم أمرهم
بالبخل فبخلوا وأمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا فهؤلاء أشحاء
على إخوانهم أي بخلاء عليهم وأشحاء على الخير أي حراصا عليه فلا ينفقونه
كما قال تعالى وإنه لحب الخير لشديد ثم قال تعالى يحسبون الأحزاب لم يذهبوا
وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا
فيكم ما قاتلوا إلا قليلا فوصفهم الله بثلاث صفات أحدها أنهم لفرط خوفهم
يحسبون الأحزاب لم ينصرفوا عن البلد وهذه حال الجبان الذي في قلبه مرض فإن
قلبه

صلقوكم نسخة

قلبه يبادر إلى تصديق الخبر المخوف وتكذيب خبر الأمن الوصف الثاني
أن الأحزاب إذا جاؤوا تمنوا أن لا يكونوا بينكم بل يكونون في البادية بين
الأعراب يسألون عن أنبائكم إيش خبر المدينة وإيش جرى للناس و
الوصف الثالث أن الأحزاب إذا أتوا وهم فيكم لم يقاتلوا إلا قليلا وهذه
الصفات الثلاث منطبقة على كثير من الناس في هذه الغزوة كما يعرفونه
من أنفسهم ويعرفه منهم من خبرهم ثم قال تعالى لقد كان لكم في رسول الله
أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا فأخبر سبحانه أن الذين
يبتلون بالعدو كما ابتلي به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلهم فيه
أسوة حسنة حيث أصابهم مثل ما أصابه فليتأسوا [illegible] فإنه
لو كان لذلك ما ابتلي به خير الخلائق بل بها ينال الدرجات العالية و
بها يكفر الله الخطايا لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا وإلا فقد
يبتلى بذلك من ليس كذلك فيكون في حقه عذابا كالكفار والمنافقين ثم قال
تعالى ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق
الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما قال العلماء كان الله قد أنزل
في سورة البقرة أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا
من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا
معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب فبين الله سبحانه منكرا على من
حسب خلاف ذلك أنهم لا يدخلون الجنة إلا بعد أن يبتلوا مثل هذه الأمم
قبلهم بالبأساء وهي الحاجة والفاقة والضراء وهي الوجع والمرض والزلزال
وهي زلزلة العدو فلما جاء الأحزاب عام الخندق فرأوهم قالوا هذا ما
وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وعلموا أن الله قد ابتلاهم
بالزلزال وأتاهم مثل الذين قبلهم وما زادهم إلا إيمانا وتسليما لحكم الله و
أمره وهذه حال أقوام في هذه الغزوة قالوا ذلك وكذلك قوله من
المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه أي
عهده الذي عاهد الله عليه فقاتل حتى قتل أو عاش والنحب النذر
والعهد وأصله من النحيب وهو الصوت ومنه الانتحاب في البكاء وهو
الصوت الذي تكلم به في العهد ثم لما كان عهدهم هو نذرهم الصدق في
اللقاء ومن صدق في اللقاء فقد يقتل صار يفهم من قوله قضى نحبه أنه

هكذا

به في التوكل والصبر ولا يظنون أن هذه نقص لصاحبها

Copyright © King Saud University